(٧)

عندما يصبح الترشيح للرئاسة في مصر جريمة!

اللافت للنظر أن الحزب الوطني يصر على أن المنافسة حرة وأنه تمكن من في ظل هذه المنافسة الحرة وأن العيب على الآخرين الذين لم تتوافر لهم كفائة الفوز في هذه المنافسة. ولذلك ظل اتهامنا للحزب الوطني بأنه يحتكر كل شيء في مصر وأنه اختزل مصر كلها وشعبها ومواردها وتاريخها في حزب واحد حتى ظننا أن أعضاء الحزب الوطني معصومون من الحساب يوم القيامة ولكن تبين أن الحزب الوطني مصر ليس فقط على أن يبقى في السلطة بتزوير إرادة الناخبين وإنما أن يمنع المصريين أصلاً من الترشيح مادامت اللجنة العليا للانتخابات تمثل الحزب الوطني ولايجد الحزب غضاضة في أن يصر على أنها لجنة مستقلة ومحايدة وفقاً لنص الدستور، حرجاً في أن يمعن في إيهام المصريين بأنهم هم الذين وافقوا على الدستور وهم الذين يجب أن يلتزموا بأحكامه وعدم الخروج عليه، رغم أنه يعلم الحقيقة أنه فصل تفصيلاً لأغراض خاصة ولم يشترك في الاستفتاء عليه سوى أعضاء الحزب الوطني الذين ينوبون عن كل المصريين.

ويبدو أن الحزب الوطني مصر بشمل واضح على أنه هو الذي يقدم المرشحين الأصليين والمرشحين الديكور لإستكمال العملية الانتخابية "الديمقراطية" فقد واجه الحزب بكل ما يملكه من نيران الغضب والرفض إعلان الدكتور البرادعى ترشحه لمنصب الرئاسة في إشارة واضحة إلى أن أحداً غير الحزب الوطني لايصلح له. وقد تركنا موقف الحزب الوطني في حيرة بسبب حدة موقفه ونقده المر للبرادعي وفهم من ذلك أنه إذا كان شخصية بحجم البرادعى تتهاك عليها الطعان رغم نوبل وقلادة النيل فما بالنا بمن يرشح عارى الصدر المقطوع به أن الحزب الوطني يمارس إرهاباً لمنع الترشيح أصلا مما يدل على أن الإرهاب الأكبر إذا استمر المرشح أو إذا حاضر الانتخابات وهذا يعني بوضوح بعيداً عن الاتهامات لهذا الحزب بأنه قد استولى على السلطة في انقلاب غير دموي ولكنه مستعد لإراقة الدماء لكل من تسول له نفسه أن يتجرأ بمجرد النظر إلى هذا المنصب ناهيك عن الترشيح له.

ولذلك فإنني أعتقد أن استيلاء الحزب الوطني على السلطة بالتزوير يعني أنه احتل الشعب المصري وأن هذا الاحتلال الوطني يجب أن يزول ولا عبرة لما يردده الحزب من مصطلحات جوفاء وكان أشرف له أن يعلن أن التجربة الديمقراطية قد فشلت على يديه لاستحالة صلاحية الشعب المصري للديمقراطية كما أكد رئيس وزراء مصر للرئيس بوش منذ سنوات وهو واضحاً بالشعب المصري وقيادته وأن يصرف النظر تماماً عن جدوى السعي إلى الديمقراطية في مصر. ويظن أن المتابعة لرد الفعل أن خطئ ما قد ارتكب، أو أن ترشح البرادعي أو غيره يعتبر عملاً إجرامياً أو انتهاكاً جسيماً أو أنه عمل يجرى تجريمه رسمياً أو أنه عمل إرهابى ضد الشعب المصري.

وإذا كان ذلك هو ماينويه الحزب الوطنى ولكنه يشعر بالخجل فالأول به أن يعلن صراحة أن النظام في مصر لاعلاقة له بالديمقراطية لأن أوهام الديمقراطية هي التي أغوت البرادعى واستهوت غيره إلى هذه اللعبة التي ظن أنها مفتوحة ولم يدرك أنه يتجرأ على "مقدسات المصريين".

ولعل حدة الاعتراض على ترشيح البرادعى ترتبط بالبرادعى نفسه مما يدعو إلى محاولة تفسير هذا الموقف. فهل كبر على الحزب الوطنى وقيادته أن يترشح البرادعي رغم حصوله على قلادة النيل التي تلزمه بالعفاف عن النظر إلى هذا المنصب الذي سبق أن كرمه. وأن يقضم اليد التي امتدت له بالإحسان وهو ماعبر عنه النقاد بالفعل. أم أن هذه الحدة والاتهام بالعمالة لصرف نظر القراء عما يحوم حول النقاد من هذه الصفة لأن التبعية لأمريكا في العالم العربي أصبحت فخراً عند الحكومات وليس سبب النكبة.

أما التفسير الثالث فهو رسالة إلى غيره. ولكن عندما هدأت موجة النقد واطلع الناس على العلاقة الأمريكية بالبرادعي ظنوا أنه مدسوس وأن نقد الحزب له من قبيل استدعاء شعبيته وظن الناس أن هناك صفقة بين البرادعى والحزب برعاية واشنطن خصوصاً وانهمو لمحوا ترحيباً متحفظاً به من جانب الأخوان المسلمين، وارتفعت اسهم الشائعات بعد أن رفع البرادعى السقف إلى السماء وأصر على تعديل الدستور لعدم ثقته في جدوى الأحزاب السياسية.

وخلاصة القول أننا نأمل أن يكون طموح البرادعى مهما ارتبط به من شائبات هو تعلق الشعب المصري بالتغيير، ولكننا نأمل أن يكون التغيير إلى الأمام وليس دورة جديدة من دورات الضياع والإرهاق لهذا الشعب الصابر.